الزينبيون
وأثرهم في الحياة السياسية والعلمية في الدولة العبّاسيّة

د. محمد بن سليمان الراجحي
قسم التاريخ ـ كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخص البحث :

" الزينبيّون " : فرع من فروع الأسرة العباسية ، ينحدرون من نسل " محمد بن إبراهيم ـ المعروف بالإمام ـ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس " ، ابن أخ الخليفتين " أبي العباس السفاح " و " أبي جعفر المنصور . وقد عُرفوا بـ " الزينبيّين " نسبة إلى جدّتهم " زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس " ـ زوجة " محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي الآنف الذّكْر. وقد حاولتُ الدراسة استقصاء أخبار هذا الفرع من فروع الأسرة العباسية ، وبيان ما كان لأعلامه من أثر في الدولة العباسية خلال الفترة التي برزوا فيها . وقد كشفت الدراسة عن عدد من النتائج ، من أهمّها : أنّ القرنين الخامس والسادس الهجريين هي الفترة التاريخية الرئيسة التي اشتهر فيها الزينبيّون في العصر العبّاسي ، وأن العديد من " الزينبيين " حَظِيَ بثقة الخلفاء العباسيين ، يدلّ على ذلك أنهم كانوا يعهدون إليهم ببعض المهامّ الجليلة ، إضافة إلى توليتهم بعض المناصب المهمّة في الدولة العباسية ، كما تَبيّنَ لنا في هذا البحث أنّ " علي بن طراد الزينبي " كان أبرز أعلام " الزينبيين " وأوسعهم شهرةً وأكثرهم أثرًا في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، و اتضح أنّ " الزينبيّين " عاشوا جُلّ أيّامهم في حاضرة الخلافة العباسية " بغداد " . كما تولّى عدد من أبناء الأسرة الزينبية " نقابة العباسيين " في حاضرة الخلافة العباسية لعهود طويلة ، حتّى إنّها أضحت حكْرًا عليهم في بعض الفترات دون غيرهم ، مما يدل على المنزلة العالية التي كانوا يتبوّؤنها عند الخلفاء العباسيين.

مقدمـــة :

الحمـد لله ربّ العـالمين ، والـصلاة والـسلام علـى خـاتم الأنبيـاء والمرسـلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

من المعروف ـ تاريخيًّا ـ أن الدولة العباسية عُمّرت ما يربو على خمسة قرون من الزمن ، تَعاقَبَ على حكْمها خلال هذه الفترة سبعة وثلاثون خليفة ، تباينوا فيما بينهم قوّةً وضعفًا ، وانحصرت شهرة الأسرة العباسية غالبًا في هؤلاء الخلفاء ـ ولا سيّما المميّزين منهم ـ ومَن كان يُحيط بهم من الأسماء العباسية البارزة في بعض الفترات .

ومع مرور الزمن تفرّعت الأسرة العباسية إلى فروع عدّة ، شأنها في ذلك شأن أيّ أسرة عربية كبيرة ، وعُرف بعضها بأسماء أو ألْقاب مَيّزَتْها عن غيرها من الفروع الأخرى ، وحَظيتْ ثلّة منها بمكانة عالية وشهرة واسعة في بعض العهود ، بينما ظلّ البعض الآخر منها بعيدًا عن الأضواء ، ولم يَغْدُ له ذِكْر في صحائف التاريخ .

ومن فروع الأسرة العباسية " الزينبيّون " ، الذين اتّسعت شهرة عدد منهم وذاع صيتهم في بعض الفترات ، ولا سيّما في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث عاش في هذه الفترة معظم أعلامهم ، وصار لبعضهم في تلك العهود حضور ملموس في الحياة السياسية في البلاط العباسي ، حيث شَغلوا مواقع مهمّة ، ومنها الوزارة ونقابة العباسيين وغيرها ، كما كان للعديد منهم أثر في ميادين الحياة العلمية في الدولة العباسية .

وقد حَظِي " الزينبيّون " بمقام رفيع عند عدد من خلفاء بني العبّاس ، فكانوا يُظهرون لهم الكثير من التقدير والتبجيل ، ليس لكونهم من بني عمومتهم ومن

أبناء الأسرة العباسية فحسْب ، بل لكونهم أيضًا على جانب من الفضل والأخلاق النبيلة ، كما شهد لهم بذلك العديد من أعلام المؤرّخين .. كما حَظِيَ " الزينبيّون " باحترام واسع من جانب كثير من الناس الذين عاصروهم أو عاشوا في العصور التالية ، وبخاصة العلماء .

وفي هذه الدراسة حاولتُ استقصاء أخبار هذا الفرع من فروع الأسرة العباسية ، وبيان ما كان لأعلامه من أثر في الدولة العباسية خلال الفترة التي برزوا فيها .. وقد عرّفتُ في البداية بأبرز أعلام " الزينبيّين " ، ثمّ تناولتُ بعد ذلك ما كان لهم من أثر في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، وما تبوّأه بعضهم من منزلة مهمّة عند الخلفاء ، ومن ثمّ تحدّثتُ عن أثرهم في الحياة العلمية ، ولا سيّما في الفترات التاريخية التي اشتهروا في أثنائها في الدولة العباسية .

وفي الخاتمة استخلصتُ أهمّ النتائج التي خرجتُ بها من خلال دراستي لهذا الموضوع .

* * *

الزينبيّون :

" الزينبيّون " : فرع من فروع الأسرة العباسية ، ينحدرون من نسل " محمد بن إبراهيم ـ المعروف بالإمام ـ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس " ، ابن أخ الخليفتين " أبي العباس السفاح " و " أبي جعفر المنصور "(١) . وقد عُرفوا بـ " الزينبيّين " نسبة إلى جدّتهم " زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس " ـ زوجة " محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي "(٢) الآنف الذِّكْر ـ يقول

(١) عن نسب " الزينبيّين " انظر : (ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ص٣٠٥ ، السيوطي : رفع الباس عن بني العباس ، تحقيق : يحيى محمود بن جُنيد ، مجلّة " عالم المخطوطات والنوادر " ، المجلّد الثامن ، العدد الثاني ، رجب ـ ذو الحجة ١٤٢٤هـ/ سبتمبر ٢٠٠٣م ـ فبراير ٢٠٠٤م ، ص٢٩٥) .

(٢) أشار بعض المؤرخين إلى أنّ " زينب بنت سليمان بن علي " كانت زوجة لـ " إبراهيم بن محمد بن علي العباسي " ، المعروف بـ " إبراهيم الإمام " ، حيث ذكر العلاّمة " ابن حزم " ـ مثلاً ـ أنّ " عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام " ـ المعروف بالزينبي ـ يُنسب إلى جدّته أمّ أبيه " زينب بنت سليمان " . (جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص٣١) . كما ذكر " السمعاني " أنّ " زينب " كانت زوجة لـ إبراهيم الإمام " على سبيل الظنّ ، حيث يقول : " وظنّي أنها زوجة إبراهيم الإمام " . (الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، جـ٣ ، ص١٩١) . وتابَعه في ظنّه هذا " ابن الأثير " في كتابه (اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، جـ٢ ، ص٨٨) . غير أنّ أكثر المؤرّخين متّفقون على أنها كانت زوجة لـ " محمد ابن إبراهيم بن محمد بن علي " ، ومن هؤلاء المؤرخين " البلاذري " الذي نصّ ـ عند تعداده لأبناء " سليمان بن علي ابن عبد الله بن عباس " ـ أنّ ابنته زينب " تزوّجها محمد بن إبراهيم الإمام " . (جُمَل من أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكّار ، ورياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، جـ٤ ، ص١٢٨) . و" ابن الجوزي " الذي أشار إلى ذلك أيضًا ، وذكر أنّ وَلَدَه منها ينتسبون إليها . (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، جـ١٠ ، ص١٩٨) . و " سبط ابن الجوزي " ، الذي نصّ على أنّ " محمدًا " تزوّجها ، فأنجبتْ له ابنه " عبد الله " . (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، (٤٨١ ـ ٥١٧هـ/ ١٠٨٨ ـ ١١٢٣م) ، تحقيق : مسفر

المؤرّخ " ابن الأثير " عند إشارته إليها : " وإليها يُنسَب الزينبيّون من العباسيين "(١) ، ويقول المؤرّخ " ابن الطقطقي " في أثناء حديثه عن تولّي " علي ابن طراد الزينبي " ـ وهو أحد أعلام الزينبيين ـ الوزارة في عهد الخليفة " المسترشد بالله " : " .. وإنّما عُرفوا [أي علي بن طراد وآبائه] بالزينبيّين ، لأنّ أمّهم زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، عُرفوا بها "(٢) .

وُلدت "زينب بنت سليمان " في السنوات الأخيرة من العصر الأموي ، ونشأت مع أهلها في بلدة " الحُمَيْمة "(٣) بالشام ، وعُمّرت طويلاً ، وعاصرت عددًا من بني عمّها خلفاء بني العباس ، وهم " أبو العباس السفّاح " و " أبو جعفر المنصور " و " محمد المهدي " و " موسى الهادي " و " هارون الرشيد " و " محمد الأمين " و " عبد الله المأمون "(٤) . وكانت لها منزلة عالية في أهل بيتها ، يقول " سبط ابن الجوزي " مشيرًا إلى ذلك : " وكانت عظيمة في بني العباس ، تُعدّ في الفضلاء "(٥) .

أنجبتْ " زينب " من زوجها " محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي العباسي "

بن سالم بن عريج الغامدي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، جـ١ ، ص٣١٦) . و " الذهبي " الذي ذكر أكثر من مرّة أنّ " عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام " هو ابنها . (سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، جـ١٠ ، ص٢٣٨) .

(١) الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، جـ٥ ، ص٥٦٤ .

(٢) الفخري في الآداب السلطانية ، ص٣٠٥ .

(٣) " الحُمَيْمة " : بلدة من نواحي " عمّان " ـ بالأردن ـ في أطراف بلاد الشام . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، جـ٢ ، ص٣٠٧) .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٠ ، ص٢٣٨ .

(٥) مرآة الزمان ، جـ١ ، ص٣١٦ .

ابنها " عبد الله "[١] ، الذي بات يُعرف بـ " الزينبي "[٢] ، ومن المرجّح أنه أوّل مَن عُرف بهذا اللقب من " الزينبيّين " ، ومن ذرّيته كان أبناء البيت الزينبي ، يقول " الذهبي " في أثناء ترجمته لـ " زينب " : " .. فَطِراد الزينبي وأقاربه من ذرّية عبد الله ولدها "[٣] . ومع أنّ والده " محمد بن إبراهيم الإمام " كان له أبناء آخرون إلاّ أنّ ذرّية هؤلاء الأبناء وأحفادهم لم يشتهروا بـ " الزينبيّين " ، وربّما كان مردّ ذلك أنّ " زينب بنت سليمان " لم تكن أُمًّا لهم ، بل كانوا ـ في الغالب ـ من أمّهاتٍ أُخَر .

ومن أوائل مَن عُرف من " الزينبيّين " " عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام " ، المعروف بـ " الزينبي " ، عاش في القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي ـ وأشار إليه عدد من أعلام المؤرّخين ، كالطبري[٤] ، و" ابن حزم "[٥] ، و" ابن الأثير "[٦] ، و" ابن كثير "[٧] في مواقف مختلفة ، يُستشفّ منها أنّه كان من الرجال المعروفين في البلاط العباسي ، والمقرّبين من بعض الخلفاء .

ومن " الزينبيّين " الأوائل الذين أشارت إليهم بعض كتب التراجم ، " أبو بكر محمد بن موسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم

---

(١) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٣١٦ .
(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٣١ .
(٣) سير أعلام النبلاء ، جـ١٠ ، ص٢٣٨ .
(٤) تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، جـ٩ ، ص٣٧٧ .
(٥) جمهرة أنساب العرب ، ص٣١ ـ ٣٢ .
(٦) الكامل ، جـ٧ ، ص١٨٣ .
(٧) البداية والنهاية ، دار هجَر ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، جـ١٤ ، ص٤٩٥ .

الزينبي العباسي " ، وقد عاش في فترة النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع ، وأورد له " السيوطي " في كتابه " رفْع الباس " ترجمة مقتضبة ، أشار فيها إلى أنّه تتلمذ على بعض علماء عصره ، كما قرأ عليه عدد من طلاّب العلم ، وتوفي سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م[(١)] .

وفي القرن الرابع الهجري اشتهر من الزينبيّين " أبو تمّام الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الزينبي " ، وكان جَدّه " عبد الوهّاب " ابن عمٍّ لأبي بكر محمد بن موسى الزينبي ، الذي ذكرناه آنفًا ، تولّى " أبو تمّام " نقابة الهاشميين[(٢)] فترة من الزمن ، كما تولّى القضاء في مدينة البصرة ، وتوفي سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م[(٣)] .

وكانت فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين هي الفترة التاريخية التي عاش

---

(١) رفْع الباس ، ص٣١٨ .

(٢) " نقابة الهاشميين " : النقيب : شاهد القوم وضمينهم وعريفهم ورأسهم ، لأنّه يُفتّش أحوالهم ويعرفها ، وهو كالعريف على القوم ، المقدّم عليهم ، الذي يتعرّف أخبارهم ويُنقّب عن أحوالهم . وقيل للنقيب : نقيب ، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف مناقبهم ، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم . (الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، جـ٢ ، ص٤٤٦) . ولمزيد من المعلومات عن مصطلح " النقابة " و " النقيب " في العصر العباسي وفي غيره من العصور ، انظر : (الماوردي : الأحكام السلطانية ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ، ص٩٦ ـ ٩٩ ، ابن كنّان : حدائق الياسمين في ذِكْر قوانين الخلفاء والسلاطين ، تحقيق : عباس صبّاغ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، ص١٦٤ ـ ١٦٥ ، مصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ص٤٢٥) .

(٣) ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ، جـ١٢ ، ص١٤٣ ـ ١٤٤ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٢٩٤ .

فيها معظم الزينبيين ، واشتهر فيها عدد من أعلامهم ، ومن أوائلهم " أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الزينبي العباسي " ، وهو حفيد " أبي تمّام الحسن بن محمد " السابق ذِكْره . وُلد سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م ، وولي نقابة العباسيين بعد وفاة والده سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م ، وهو في العشرين من عمره ، وكان له بعض الاهتمام بالعلم والرواية ، توفّي سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م[١] ، وقيل سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م ، ورثاه بعض الشعراء[٢] .

كان لأبي الحسن محمد بن علي بن الحسن الزينبي عدد من الأبناء ، ذكر المؤرّخون منهم " أبا نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي " ، وُلد في شهر صفر سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م ، ونشأ منذ حداثة سنّه زاهدًا ميّالاً إلى العزلة والانقطاع عن الناس[٣] . وَصَفه " الذهبي " بـ " الشيخ الصالح الزاهد الشريف مسند الوقت "[٤] ، وأشار إلى أنه كان ذا باع في العلم والرواية ، توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م[٥] .

ومنهم " أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي " ، وهو من أبرز أعلام " الزينبيّين " ، وأوسعهم شهرة ، وُلد في سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م ، ونشأ نشأة علمية ، شأنه في ذلك شأن كثير من أهل بيته . أثنى عليه عدد من المؤرخين ، فوصفوه بالأمانة والفضل والشرف ، وذكروا بأنه كان من جُلّة الناس وكبرائهم ،

---

(١) السيوطي : رفع الباس ، ص٣٢٠ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ١٨ ، ص٤٤٣ ، ٤٤٤ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٢٢ .

(٤) الذهبي : المصدر السابق ، جـ١٨ ، ص٤٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ١٨ ، ص٤٤٤ - ٤٤٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٢٢ .

ثقةً ثبتًا ، ساد الدهر رتبةً وعلوًّا وفضلاً ورأيًا وشهامة ، كما ذكر بعضهم أنه كان أعلى العباسيين رتبة عند الخليفة[(١)] . توفي في سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م[(٢)] ، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة ، ويُروى أنّه لّما حضرته الوفاة بكى أهله فقال : " إنّما يُبكى على الشابّ ، أمّا مَن جاوز التسعين فلا معنى للبكاء عليه "[(٣)] !.

ومن أبناء " أبي الحسن محمد بن علي الزينبي " المبرّزين ، الذين أطنب العديد من المؤرّخين في الحديث عنهم " أبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي العباسي " ، وُلد في سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م ، وتتلمذ على عدد من علماء عصره ، ولم يلبث أن صار من أعلام الأسرة العباسية ، وحَظِيَ بمكانة عالية عند الخلفاء ، ونبغ في عدد من العلوم ، حتّى صار يُشار إليه بالبنان[(٤)] .

وقد أشاد به وبعلمه عددٌ من المؤرّخين ، فوصفه بعضهم بأنّه فقيه

---

(١) عن مكانة " طراد الزينبي " وثناء المؤرخين عليه ، انظر : (ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص٤٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ١ ، ص٣١٦ ـ ٣١٧ ، الذهبي : المصدر السابق ، جـ١٩ ، ص٣٨ ، ٣٩ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٦ ، ص٢٤٠ ـ ٢٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٦ ، ص١٦٥ ، القرشي : الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجَر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، جـ٢ ، ص٢٨١ ـ ٢٨٢ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٠٠) .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ١٧ ، ص٤٤ ، السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص١٩١ ، الذهبي : المصدر السابق ، جـ١٩ ، ص٣٩ .

(٣) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٧ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص٦٦٥ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، حوادث ووفيات (٥٠١ ـ ٥١٠ هـ ، ٥١١ ـ ٥٢٠هـ) ، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٥٣ ـ ٣٥٥ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٣ ، ص٢٧ .

بني العباس ، شريف النفس ، وافر العلم ، ذو وجاهة كبيرة عند الخلفاء ، كما ذكروا أنّه كان مكرمًا للغرباء ، وافر العظمة ، إمامًا معظّمًا كبير الشأن ، من فحول النُظّار[1] . ولم يكن الجانب العلمي هو الأوحد البارز في حياة " أبي طالب الزينبي " ، بل كانت هناك جوانب أخرى مهمّة في حياته أيضًا ، فقد تولّى بعض الأعمال في البلاط العباسي ، وكُلّف ببعض المهامّ من قِبَل الخلفاء[2] ، وظلّ يحظى بمكانة مميّزة حتى وفاته في شهر صفر سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م[3] .

وفضلاً عن هؤلاء الثلاثة (أبي نصر محمد ، وأبي الفوارس طراد ، وأبي طالب الحسين) ، فقد كان لوالدهم " أبي الحسن محمد بن علي الزينبي " أيضًا أبناء آخرون أقلّ شأنًا ، منهم : " أبو تمّام محمد بن محمد بن علي الزينبي " ، وهو أكبر أبنائه ، وقد عاش معظم حياته في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري ، وتوفّي سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م[4] ، و " أبو يَعْلَى حمزة بن محمد بن علي الزينبي " ، وُلد في سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م ، وكان ـ كما يصفه

---

(١) عن مكانة " أبي طالب الحسين بن محمد الزينبي " ، وثناء المؤرّخين عليه ، انظر : (ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٦٦ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ ـ ٥١٠ هـ ، ٥١١ ـ ٥٢٠هـ) ، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٥٣ ـ ٣٥٥ ، ابن أيبك الصفدي : المصدر السابق ، جـ١٣ ، ص٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٦ ، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، السيوطي : رفع الباس ، ص٢٩٥) .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ١٧ ، ص١٦٦ ، سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦٦٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٥٤ ، ابن أيبك الصفدي : المصدر السابق ، جـ١٣ ، ص٢٧ .

(٣) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦٦٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٢٩٥ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٤١ ـ ٤٥٠هـ) ، ص١٢٠ ، السيوطي : رفع الباس ، ص٣٢٠ .

بعض المؤرّخين - رجلاً جليل القدْر ، عُمّر زمنًا طويلاً ، وعاش حتّى أوائل القرن السادس الهجري ، حيث توفي سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م ، وهو في السابعة والتسعين من عمره[١] .

وكان لأبي الحسن الزينبي أيضًا عدد من الأحفاد المشاهير ، منهم : الوزير " أبو القاسم علي بن طراد بن محمد بن علي الزينبي " ، وُلد في سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م ، وتولّى الوزارة في أيّام الخليفتين " المسترشد بالله " ، و " المقتفي لأمر الله "[٢] ، وصار له شأن كبير في زمنهما ، وحَظِيَ بثناء العديد من المؤرّخين ، فوصفه " الذهبي " بـ " الوزير الكبير "[٣] ، كما وُصِف بأنّه " كان صدرًا مهيبًا وقورًا ، دقيق النظر ، حادّ الفراسة ، عارفًا بالأمور العظام ، شجاعًا جريئًا "[٤] . توفّي في مستهلّ شهر رمضان سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م[٥] .

ومن أحفاد " أبي الحسن الزينبي " البارزين " أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد بن علي الزينبي " ، وُلد في سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م ، ونشأ نشأة علمية ، وولي القضاء في العراق في زمن الخليفتين " المسترشد بالله " ، و " المقتفي

---

(١) الذهبي : المصدر السابق ، حوادث ووفيات (٥٠١ ـ ٥١٠هـ) ، ص٩٠ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٥٢ - ٣٥٣ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٣ ، ص١١٢ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٢٩٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٨ ، ص٣٤ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣١١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص١٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٢٠ ، ص١٥١ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ٢٠ ، ص١٥١ . وللمزيد من المعلومات عن سيرة الوزير " علي بن طراد الزينبي " وأخباره ، انظر أيضًا : (ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ١٨ ، ص٣٤ ـ ٣٥ ، ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ـ ٣١١ ، ابن أيبك الصفدي : المصدر السابق ، جـ٢١ ، ص١٠٤ - ١٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٦ ، ص٣٣٥) .

لأمر الله "[١] . وكان محلّ تقدير العديد من المؤرّخين ، سواءً ممّن عاصروه أو من الذين عاشوا في العصور اللاحقة ، فقد وصفه " ابن الجوزي " بقوله : " ما رأينا وزيرًا ولا صاحب منصب أوقر منه ، ولا أحسن هيئةً وسمتًا وصمتًا ، قَلّ أن يُسمع منه كلمة "[٢] ، كما وُصف أيضًا بأنّه " غزير الفضل ، وافر العقل ، له وقار وسكون "[٣] ، ووصفه " الذهبي " بـ " الصدر الأكمل ، قاضي القضاة "[٤] ، كما أثنى عليه " ابن أيبك الصفدي " فذكر أنّه " كان صدرًا مهيبًا ذا ثبات وصيانة ونزاهة وديانة وعفّة وغزارة فضل "[٥] . توفي في شهر ذي الحجّة سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م[٦] .

ولأبي الحسن الزينبي أيضًا أحفاد عديدون آخرون ، عاش أكثرهم في القرن السادس الهجري ، وأوائل السابع ، ومنهم : " أبو تمّام محمد بن الحسين بن محمد بن علي الزينبي " ، وقد عاش الشطر الأخير من حياته في الربع الأول من القرن السادس الهجري ، حيث توفي سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣١م ، وكان له بعض الاهتمام بالعلم والرواية[٧] . و " أبو البركات محمد بن عدنان بن محمد بن محمد بن علي الزينبي " ، وُلد في سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م ، وسمع من بعض علماء

---

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص٣١١ .

(٢) المنتظم ، جـ١٨ ، ص٦٨ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٢٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٢٠ ، ص٢٠٧ .

(٥) الوافي بالوفيات ، جـ٢١ ، ص٣٨ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ٢١ ، ص٣٨ .

(٧) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ١٧ ، ص٢٦٧ ، السيوطي : رفْع الباس ، ص٣٢٤ .

عـصره[1] ، ولم يُـشر المؤرّخـون إلى تـاريخ وفاتـه ، ولعلّـه أدرك أوائـل القـرن السادس الهجري . و " أبو الحسن محمد بـن طـراد بـن محمـد بـن علـي الـزينبي " ، وُلد في سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م ، وتولّى نقابة الهاشميين ببغداد ، وكانت لـه مكانة ووجاهة ، توفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م[2] . و " أبو أحمد طلحة بـن علـي بـن محمـد ابن محمد بن علي الزينبي " ، عاش معظم سنيّ حياته في النصف الأوّل مـن القـرن السادس ، وتولّى نقابة العباسيين ببغداد ، وتوفي سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م[3] .

ومـنهم أيـضًا : " أبـو نـصر القاسـم بـن علـي بـن الحسين بـن محمـد بـن علـي الـزينبي " ، وُلـد سـنة ٥٢٩هــ/ ١١٣٥م ، ولم يُعمّـر طـويلاً ، بـل تـوفي سـنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م ، وله من العمر أربع وثلاثون سنة[4] . و " أبو العباس محمد بـن علي بن طراد بن محمد بن علي الزينبي " - ابن الوزير " علـي بـن طـراد " - ويُعـرف بلقب " الأمير التركي " ، لأنّ أمّه تركيّة ، وكان من المهتمّين بطلـب العلـم ، تـوفي سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م ، وهو لمّا يـزل شـابًّا[5] . و " أبـو الحسن محمد بـن علـي بـن الحسين بن محمد بـن علـي الـزينبي " ، كـان - كمـا وصـفه بعـض المؤرّخين - رجـلاً صالحًا صدوقًا صابرًا ، توفي سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م[6] .

وممّـن أدرك القـرن الـسابع الهجـري مـن أحفـاد " أبـي الحـسن محمـد بـن علـي

---

(١) ابن أيبك الصفدي : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص١٤٠ - ١٤١ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

(٣) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ١٨ ، ص١٥٦ ، ابن أيبك الصفدي : المصدر السابق ، جـ١٦ ، ص٢٨٠ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٤) السيوطي : رفْع الباس ، ص٣١٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ، ص٣٥٤ .

الزينبي " ، " أبو المظفّر محمد بن طلحة بن علي بن محمد بن محمد بن علي الزينبي " ، عاش جُلّ حياته في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وتولّى نقابة العبّاسيين فترة من الزمن ، وكانت له منزلة ووجاهة في البلاط العباسي ، توفي سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م[١] . وشقيقه " أبو القاسم قُثم بن طلحة بن علي الزينبي " ، كان صدرًا معظّمًا مثل أخيه ، فاضلاً عارفًا ببعض العلوم ، توفي في شهر رجب سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م ، وله من العمر سبع وخمسون سنة[٢] . و " أبو تمّام محمد بن العباس بن يحيى بن محمد بن الحسين الزينبي " ، وُلد في سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م ، وكان رجلاً زاهدًا كبير الشأن ، توفي سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م[٣] . و " أبو طالب عبد الله بن المظفر بن علي بن طراد الزينبي " ، ولد في سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م ، وتتلمذ على عدد من علماء عصره ، وروى عنه آخرون .. ولعلّه كان آخر مَن اشتهر من " الزينبيين " في أيّام الدولة العباسية ، توفي في شهر رمضان سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م[٤] .

وهكذا كان العديد من " الزينبيين " أعلامًا في زمانهم ، تَحَدّثَ عنهم المؤرّخون ، وأفسحوا لهم مواضع في كتب التاريخ والتراجم ، وتناولوا سيَرهم

---

(١) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : بشّار عوّاد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ، جـ٢ ، ص٥٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٢٦ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، جـ٥ ، ص٧ـ ٨ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٢٤ ، ص١٥٠ ـ ١٥١ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣١٦ .

(٣) المنذري : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٠١ ــ ٣٠٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠هـ) ، ص٨٤ ـ ٨٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٢٧ .

(٤) المنذري : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٤٨٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص١٨ ـ ١٩ .

بالكثير من التقدير والتبجيل ، ولذا صار البيت الزينبي يُشار إليه بالبنان ، يقول المؤرّخ " المنذري " في أثناء ترجمته لأبي المظفّر محمد بن طلحة الزينبي : " وهو من بيت الشرف والتقدّم والنقابة "(١) . ويقول أيضًا في ترجمته لعبد الله بن المظفّر الزينبي : " وهو من بيت روايةٍ وفضلٍ ونقابةٍ ووزارة "(٢) .

وأخيرًا نلاحظ - من خلال ما ذكرناه في الصفحات السابقة ـ أنّ اسم " الزينبيين " قد شاع في فترات متأخّرة نسبيًّا من العصر العباسي ، ولا سيّما في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، مع أنّ جدّتهم التي ينتسبون إليها " زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس " عاشت في فترة مبكّرة من تاريخ الدولة العباسية ..

ويمكن القول إنّ ذلك يُعزى ـ فيما يبدو ـ إلى أمرين رئيسين ، أحدهما : أنّ الفترات التي سبقت القرنين الخامس والسادس لم يَبرز فيها إلاّ أسماء محدودة للغاية من أفراد البيت الزينبي ، والأمر الثاني : أنّ الأسرة العباسية تزايدت أعداد أبنائها مع مرور الأيام والسنين ، فصار كلّ فرع منها ـ ومنهم " الزينبيون " ـ يسعى لأن يتميّز باسْم يُعرف به عن غيره من فروع بني العباس الأخرى .

أثر " الزينبيّين " في الحياة السياسية في الدولة العباسية :

لم يكن للزينبيّين قبل القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي ـ أثر كبير في ميادين الحياة السياسية في الدولة العباسية ، ولم يلعبوا دَورًا مؤثّرًا في البلاط العباسي قبل ذلك التاريخ ، وذلك باستثناء ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من تولية عدد يسير منهم على بعض المدن أو الأقاليم ، أو تكليفهم ببعض المَهامّ من

---

(١) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، جـ٢ ، ص٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٨٩ .

جانب الخلفاء ، فقد أشار المؤرّخ " خليفة بن خياط "[1] إلى أنّ " عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي العباسي " ـ وهو أوّل مَن عُرف من " الزينبيّين " ـ وُلّي على " مكة " في عهد الخليفة " هارون الرشيد " ، كما ذكرت مصادر أخرى أنّه وُلّي على مصر فترة قصيرة في أيّام " الرشيد أيضًا ، وذلك بين عامَي (١٨٩ ـ ١٩٠هـ/ ٨٠٥ ـ ٨٠٦م)[2] .

وفي حوادث سنة ٢٥٣هـ يرد ذِكْر " عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي " عند شريحة من كبار المؤرّخين ، كالطبري[3] ، وابن الأثير[4] ، وابن كثير[5] ، حيث يذكر هؤلاء المؤرّخون أنّه حجّ بالناس في تلك السنة . وينفرد " ابن حزم "[6] بقوله إنّ " عبد الله " هذا وُلّي على " البصرة " في أيّام الخليفة العباسي " المعتزّ بالله " الذي تولّى الخلافة بين عامَي (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ ـ ٨٦٩م) ، وفي أثناء ولايته حدثتْ فتنة الزَّنج[7] في البصرة .

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين كان لبعض أعلام الزينبيّين أثر أكثر

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، ص٤٦١ .

(٢) الكندي : ولاة مصر ، تحقيق : حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، ص١٦٨ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، جـ٢ ، ص١٦٦ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص٣٧٧ .

(٤) الكامل ، جـ٧ ، ص١٨٣ .

(٥) البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٤٩٥ .

(٦) جمهرة أنساب العرب ، ص٣٢ .

(٧) عن فتنة " الزَّنج " وموقف العباسيين منها ، انظر : (الطبري : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص٤١٠ وما بعدها ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص٢٠٥ وما بعدها) .

أهمّية في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، ففي القرن الخامس الهجري يبرز اسم " طراد بن محمد بن علي الزينبي " في عدد من المواقف والحوادث التاريخية المرتبطة بالخلافة العباسية .. كان " طراد " يحظى بمكانة عالية في البلاط العباسي ، وكانت له مكانة مميّزة عند الخلفاء ، ففي سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م قُلّد نقابة النقباء في الدولة العباسية ، ولُقّب " الكامل ذا الشرفين "(١) . وكان الخلفاء العباسيون يعهدون إليه ببعض المهامّ الجليلة التي تدلّ على ثقتهم الكبيرة به ، ومن ذلك ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من أنّ الخليفة " القائم بأمر الله " بعثه في سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م إلى السلطان السلجوقي " ألب أرسلان "(٢) في إقليم " أذربيجان " ليأخذ البيعة له منه ، فسار " طراد " إليه ، والْتقى به ، فبايعه للخليفة(٣) . وفي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م وجّهه الخليفة " القائم " رسولاً إلى صاحب " حلَب " " محمود بن صالح بن مرداس "(٤) ليُقدّم له الشّكْر والتقدير على

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٨ .

(٢) هو السلطان " ألب أرسلان بن جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق " ، من كبار سلاطين السلاجقة ، تولّى الحكْم في الدولة السلجوقية بعد وفاة عمّه " طغرلبك " سنة ٤٥٥هـ ، واستمرّ في حكْمها حتّى وفاته في سنة ٤٦٥هـ . انظر أخباره في : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص٣٠ ـ ٤٩ ، ابن النظّام اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : عبد النعيم محمد حسنين ، وحسين أمين ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص٤٥ ـ ٥٤ ، ومن المراجع الحديثة انظر أيضًا : عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص٢٤١ ـ ٢٤٨ ، عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ، ص٤٦ ـ ٦٠) .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٣٥ .

(٤) هو " محمود بن صالح بن مرداس الكلابي " ، من حكّام دويلة " بني مرداس " في حلَب ، ذكرته بعض المصادر باسْم " محمود بن نصر بن صالح بن مرداس " ، أي أن " صالح بن مرداس " اسم جدّه وليس اسم أبيه ، وصفه بعض المؤرّخين بأنه كان " شجاعًا مهيبًا جوادًا " ، توفّي سنة ٤٦٧هـ . انظر ترجمته في :

إقامة الخطبة له وللسلطان " ألب أرسلان " في بلاده[1] .

كما بعثه الخليفة " القائم " في سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م رسولاً إلى " شرف الدولة مُسلم بن قريش "[2] ـ حاكم الدولة " العُقيلية " في الموصل ـ ليسعى لإصلاح ذات البين بينه وبين السلطان السلجوقي " ألب أرسلان " ، وكان الأخير ساخطًا على " مُسلم بن قريش " حينذاك ، وقد سار " طراد الزينبي " إلى " مُسلم " في الموصل ، والْتقى به ، ثمّ اصطحبه معه إلى السلطان " ألب أرسلان " ، وفي الطريق جاءتهما الأنباء بوفاته ، فتوجّها إلى ابنه " ملكشاه "[3] ، الذي تولّى الحكم في الدولة السلجوقية بعده[4] . وقد جرت لطراد الزينبي في أثناء وجوده في

(الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٨ ، ص٣٥٨ ـ ٣٥٩ ، العبر في خبر مَن غَبر ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، جـ٢ ، ص٣٢٣ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٢٥ ، ص١٠٥ ـ ١٠٦) .

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٦٣ .

(٢) هو " شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران " ، من حكّام الدولة العُقيلية في الموصل ، تولّى الحكْم في سنة ٤٥٣هـ ، واتّسع نفوذه فشمل ديار ربيعة ومُضر وبعض المناطق من بلاد الشام ، توفي سنة ٤٧٨هـ . انظر ترجمته في : (الذهبي : العبر ، جـ٢ ، ص٣٤٠ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٢٥ ، ص٣٢٢ ـ ٣٢٥ ، ومن المراجع الحديثة انظر عنه أيضًا : سعيد الديوه جي : تاريخ الموصل ، بغداد ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص١٦٧ ـ ١٦٩) .

(٣) هو السلطان " ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي " ، من أبرز سلاطين الدولة السلجوقية وأوسعهم شهرة ، تولّى الحكْم بعد وفاة أبيه سنة ٤٦٥هـ ، وكان له أثر كبير في الميدان الحضاري في بلاده ، توفي سنة ٤٨٥هـ . انظر أخباره في : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٥٠ وما بعدها ، ابن النظّام اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص٥٥ ـ ٦٩ ، ومن المراجع الحديثة انظر أيضًا : عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٤٩ ـ ٢٥٣ ، ٢٦١ ـ ٢٦٣ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص٦١ ـ ٦٨ ، ٧٧) .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٧٩ .

معسكر السلطان " ملكشاه " بعض المتاعب ، فقد حدث حينذاك قتال بين " ملكشاه " وبعض خصومه على مقربة من مدينة " هَمَذان "[١] ، وفي خِضمّ ذلك القتال تعرّض " طراد " للنهب من قِبَل بعض الجند[٢] .

وفي سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م وجّه الخليفة " المقتدي بأمر الله " " طرادًا الزينبي " رسولاً إلى " شرف الدولة مسلم بن قريش " ، فلقيه بالموصل ، وكان " شرف الدولة " قد عاد إلى بلده بعد أن خاض حربًا غير موفّقة مع جيوش السلاجقة ، ثمّ اصطلح مع السلطان " ملكشاه "[٣] . ولم تُشر المصادر التاريخية إلى المهمّة التي بُعث " الزينبي " من أجلها في هذه المرّة ، إلاّ أنّه يُفهم من سير الأحداث أنّ الخليفة أوفده لإقرار " شرف الدولة " على " الموصل " من جديد بعد عودته إليها[٤] .

وفضلاً عن تلك المهامّ التي كُلّف بها " طراد الزينبي " ، فقد تولّى في بعض الفترات الوزارة بالإنابة في الدولة العباسية ، ومن ذلك ما جرى في سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م ، حينما حجّ الوزير العباسي " أبو شجاع الروذراوري "[٥] ، حيث أناب

---

(١) " هَمَذان " : مدينة مشهورة في " بلاد الجبل " في المشرق ، وصفها " ياقوت " بأنها " من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها " . (معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٤١٠ ـ ٤١٢) .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٧٨ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ١٠ ، ص١٣٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٥) هو " أبو شجاع محمد بن الحسين الرُّوذْراوري " ، تولّى الوزارة في الدولة العباسية في عهد الخليفة " المقتدي بأمر الله " سنة ٤٧٦هـ ، واستمرّ فيها حتى سنة ٤٨٤هـ ، وكان مشهورًا بالعدل وحسْن التعامل مع الناس ، توفي سنة٤٨٨هـ . انظر ترجمته في : (ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، جـ٥ ، ص١٣٤ ـ ١٣٧ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٣ ، ص٥) .

عنه في وزارته ابنه " ربيب الدولة أبا منصور "[(١)] ونقيب النقباء " طرادًا الزينبي "[(٢)] .

ومثلما كان " طراد الزينبي " موضع ثقة عند الخلفاء العباسيين ، فقد كان أخوه " أبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي " أيضًا يحظى بمنزلة مهمّة وثقة عالية عند الخلفاء ، ويتمتع بوجاهة كبيرة في البلاط العباسي ، ولذا كان الخلفاء يُوْكلون إليه بعض الأمور المهمّة ، ومن ذلك ما ذكرته بعض الروايات من أنّه وُجّه في بعض الفترات رسولاً إلى " ملوك الأطراف "[(٣)] . ولم تُفصح هذه الروايات عن أسماء الخلفاء الذين كانوا يبعثونه رسولاً من جانبهم ، كما لم تكشف النقاب عن شخصيّات " ملوك الأطراف " الذين وُجّه إليهم . إلاّ أنّه يُستنتج من هذه الروايات أنّ " أبا طالب الزينبي " قد أُوفد من قِبَل الخلفاء لأمور تتعلّق ببعض التطوّرات السياسية التي كانت تحدث في أيّامه ، وبالعلاقات التي كانت سائدة بين الدولة العباسية وبعض القوى المعاصرة لها .

ولعلّ أبرز مَن كان له أثر في الحياة السياسية في الدولة العباسية من الزينبيّين هو " علي بن طراد الزينبي " ، الذي تولّى الوزارة في أيّام الخليفتين " المسترشد بالله "

---

(١) هو " ربيب الدولة أبو منصور بن محمد بن الحسين الروذراوري " ، تولّي الوزارة في الدولة العباسية في عهد الخليفة " المستظهر بالله " سنة ٥٠٧هـ ، كما ولاّه السلطان السلجوقي " محمود بن محمد بن ملكشاه " الوزارة في أيّامه ، وذلك في حدود سنة ٥١٢هـ ، توفي سنة ٥١٣هـ . انظر أخباره في : (ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٤٩٨ ، ٥٣٣ ، ٥٦٠) .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص١٦٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٦٦ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص٦٦٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٥٤ ، ابن أيبك الصفدي : المصدر السابق ، جـ١٣ ، ص٢٧ .

و " المقتفي لأمر الله " .. كان " علي بن طراد " ذا مكانة عالية عند الخلفاء العباسيين قبل أن يتولّى الوزارة ، وكانوا يُوْكلون إليه بعض المهامّ الجليلة ، ومن ذلك ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من أنّ الخليفة " المستظهر بالله " وجّهه في سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م رسولاً إلى " صدقة بن منصور الأسدي "(١) ـ صاحب " الحلّة "(٢) ـ يحذّره من مناوئة السلطان السلجوقي " محمد بن ملكشاه "(٣) ، وكان " صدقة " قد عزم على محاربته في تلك السنة(٤) .

وحينما بويع " المسترشد بالله " بالخلافة سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م بعث " عليَّ بن طراد الزينبي " إلى " دُبيس بن صدقة "(٥) ليأخذ منه البيعة ، فلمّا قدم " علي بن

---

(١) هو " صدقة بن منصور بن دُبيس الأسدي " ، مؤسّس بلدة " الحَلّة " بالعراق وحاكمها ، وصفه " ابن الأثير " بأنّه كان " جوادًا حليمًا صدوقًا كثير البرّ والإحسان " . دخل في قتال مع السلاجقة ، فقُتل في سنة ٥٠١هـ . انظر أخباره وترجمته في : (الكامل في التاريخ ، جـ١٠ ، ص٤٤٠ ـ ٤٤٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٤٩٠ ــ ٤٩١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

(٢) " الحِلّة " : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد . (ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٢٩٤) .

(٣) هو " محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان " ، من سلاطين الدولة السلجوقية ، دخل في حروب مع بعض أخوته في مستهلّ العِقد الأخير من القرن الخامس الهجري ، وصار كلٌّ منهم يحكم جزءًا من المناطق الخاضعة لنفوذ السلاجقة ، ثم اتّسع نفوذه ليشمل معظم أراضي الدولة السلجوقية ، وظلّ كذلك حتّى وفاته في سنة ٥١١هـ . انظر أخباره في : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٨٦ وما بعدها ، ابن النظّام اليزدي : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص٨٢ ـ ٩٤ ، ومن المراجع الحديثة انظر أيضًا : عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٧١ ـ ٢٧٥ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص٩١ ـ ٩٩) .

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٤٤١ .

(٥) هو " دُبيس بن صدقة بن منصور الأسدي " ، من حكّام " الحلّة " في العراق ، اتّسع نفوذه في أيّام الخليفة " المسترشد بالله " ، حيث استولى على كثير من بلاد العراق ، ومات في سنة ٥٢٩هـ . انظر ترجمته في :

طراد " إلى " دُبيس " في " الحلّة " ، وأبلغه بطلب الخليفة ، أجابه بالسمع والطاعة ، وبايعه للمسترشد بالله[1] . وكان " أبو الحسن بن المستظهر بالله " ـ أخو الخليفة " المسترشد " ـ قد سار إلى " دُبيس بن صدقة " مبديًا الخلاف لأخيه ، فسعى " علي بن طراد " لإصلاح ذات بينهما ، وقام خلال وجوده في " الحلّة " بإقناع " أبي الحسن " بالعودة إلى " بغداد " والرجوع عن الخلاف ، فأجابه إلى ذلك بعد أن ضمن له الأمان عند الخليفة[2] .

وفي سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م ولّى " المسترشدُ بالله " " عليَّ بن طراد " الوزارة ، وقال له ـ مشيدًا به ـ : " كلّ مَن رُدّت إليه الوزارة شَرُفَ بها إلاّ أنت فإنّ الوزارة شَرفَتْ بك " ، و " حُمِل إليه الدّست[3] الكامل من دار الخليفة ، وتقدّم [أي الخليفة] إلى أرباب المناصب بالسعي بين يديه إلى الديوان "[4] ، ومَنَحه ألقابًا كثيرة ، كلّ لقبٍ منها يبدو كافيًا لرفع شأنه وتعظيم قَدْره ، مثل " مُعزّ الإسلام ، عضد الإمام ، سيّد الوزراء ، صدر الشرق والغرب "[5] ! . ووفقًا لما يذكره " ابن

(ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٦٣ ـ ٢٦٥ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٣ ، ص٣٢١ ـ ٣٢٢) .

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص٦٥٣ ، ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص٣٠٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٥٣٧ .

(٣) " الدّست " : كلمة فارسية ، معناها : المحلّ المخصّص للسيّد الكبير في صدر المجلس ، استُخدمت عند العرب للتعبير عن مقرّ السلطان ونحوه . (مصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص١٨١) .

(٤) ابن الطقطقي : الفخري ، ص٣٠٥ .

(٥) ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرّائي ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص٢١٦ .

الأثير "[١] فقد عُيّن " علي بن طراد الزينبي " في البداية في منصب " نائب وزير " ، وذلك بُعيد وفاة الوزير العباسي " جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة "[٢] في أواسط سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م ، ثمّ عُيّن وزيرًا في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م ، ولم يتولّ الوزارة في الدولة العباسية هاشميٌّ غيره .

وفي سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣٢م تغيّر موقف الخليفة " المسترشد بالله " من الوزير " علي بن طراد الزينبي " ، حيث عزله عن الوزارة ، وأودعه السجن ، وظلّ في سجنه أربعة أشهر ، ثمّ أفرج عنه[٣] . ولم يُفصح المؤرّخون عن الأسباب التي أدّت إلى عزله وسجنه ، ولذا يبدو ما جرى له أمرًا غريبًا ، سيّما وأنّ العلاقة بينه وبين الخليفة كانت ودّية إلى حدٍّ كبير ، وكان " المسترشد " يُشيد به ويُظهر التقدير له ، كما ذكرنا آنفًا .. على أنّ الخليفة مالبث أن رضي عنه ، وأعاده إلى الوزارة سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م ، وزاد في تكريمه وتقديره[٤] .

وفي العام التالي (٥٢٩هـ) سار الخليفة " المسترشد " لقتال السلطان السلجوقي " مسعود بن محمد بن ملكشاه "[٥] في بلاد الجبل في منطقة المشرق ،

---

(١) الكامل ، جـ١٠ ، ص٦٥٣ .

(٢) هو " جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة النصيبي " ، من وزراء الدولة العباسية في أيام الخليفة " المسترشد بالله " ، تولّى الوزارة ثلاثة أعوام ثمّ عُزل عنها ، وذلك في سنة ٥١٦هـ ، ومن ثمّ أُعيد إليها بعد سنة ، واستمر وزيرًا حتى وفاته في سنة ٥٢٢هـ . انظر ترجمته في : (الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٥٥٢ ـ ٥٥٣ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٢ ، ص٩١) .

(٣) الذهبي : المصدر السابق ، جـ٢٠ ، ص١٥٠ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص٢٨٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص١٥٠ .

(٥) هو السلطان " مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي " ، من سلاطين الدولة السلجوقية في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، دخل في حروب واسعة مع بعض أخوته وآل بيته ، كما اشتبك في حروب أخرى مع العباسيين ، توفي في سنة ٥٤٧هـ . انظر أخباره في : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٦١ وما بعدها ، ابن النظّام اليزدي : العراضة في الحكاية

وبصحبته الوزير " علي بن طراد " ، فانهزم الخليفة في ذلك القتال ، ووقع أسيرًا في يد الجيش السلجوقي ، ووقع معه في الأسْر عددٌ من كبار رجاله وحاشيته ، كان من بينهم وزيره " علي بن طراد الزينبي "[1].

ولم يلبث الخليفة " المسترشد بالله " أن استُشهد على يد جَمْع من " الباطنية " ، في نفس العام الذي هُزم فيه (٥٢٩هـ) ، أمّا الوزير " علي بن طراد " فقد ظلّ في الأسْر حتّى السنة التالية (٥٣٠هـ)[2] ، ولكنه لم يكن ـ حسب ما تذكره بعض الروايات التاريخية ـ يُعامَل معاملة الأسير ، بل كان يحظَى بالتقدير والاحترام من جانب السلطان السلجوقي " مسعود "[3] .

وفي السنة ذاتها (٥٣٠هـ) سار السلطان " مسعود " نحو بغداد ، وذلك بعد أن ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة " الراشد بالله بن المسترشد " ـ الذي تولّى الخلافة بعد مصرع أبيه ـ وكان الوزير " علي بن طراد الزينبي " بصحبة السلطان ، فلمّا بلغ بغداد خرج منها الخليفة " الراشد " واتّجه إلى مدينة الموصل ، فدخلها السلطان والوزير ومَن معهما ، ثمّ أُعلن عن إقصاء " الراشد " عن الخلافة . ووفقًا لما تذكره المصادر التاريخية فقد كان الوزير " علي بن طراد " في مقدّمة المؤيّدين لإقصائه[4] ، ليس هذا فحسْب ، بل إنّ المؤرّخ " ابن العمراني "[5] يذكر أنّ السلطان السلجوقي " مسعودًا " استشار بعد دخوله بغداد الوزيرَ " الزينبي " في

السلجوقية ، ص١١٧ ـ ١٢٧ ، ومن المراجع الحديثة انظر أيضًا : عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٢٩٧ ـ ٢٩٩ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص١١٩ ـ ١٢٦) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ، ص٢٤ ـ ٢٦ ، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : أحمد كمال زكي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، جـ٢٣ ، ص٢٧٢ ـ ٢٧٥ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١١ ، ص٢٧ ، ٤٢ .

(٣) ابن الطقطقي : الفخري ، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ، ص٤٢ ، ابن الطقطقي : الفخري ، ص٣٠٦ ، ٣٠٨ .

(٥) الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٢ .

أن يقصد الخليفة " الراشد " بنفسه ويترضّاه ويُعيده إلى حاضرة الخلافة ، ولكنّ الوزير هوّن أمره عليه ، ووعده أن يكفيه ذلك ، وجمع القضاة والفقهاء وألْزمهم أن يشهدوا على " الراشد بالله " بشُرْب النبيذ - ليكون ذلك سبيلاً إلى إقصائه عن الخلافة - مع أنّ أحدًا منهم لم يره - كما يقول " ابن العمراني " - يشرب الماء ! .

ولم يذكر المؤرّخون سببًا واضحًا لموقف الوزير " الزينبي " هذا من الخليفة " الراشد بالله " ، مع أنّه كان يحظى بمنزلة عالية عند أبيه الخليفة " المسترشد بالله " . وإذا صحّت هذه الرواية فإنّ موقفه ذلك يبدو غريبًا ومستهجنًا إلى حدٍّ بعيد ، لأنّه لا ينسجم مع ما اتّفقتْ عليه الروايات التاريخية من أنه كان على جانب من الفضل والحكمة وبُعْد النظر ، وكان يتمتّع بالكثير من الصفات الحميدة .

وكان للوزير " الزينبي " أثرٌ آخر أكثر أهمّية في تلك التطوّرات السياسية التي شهدتْها الدولة العباسية حينذاك ، فقد عُهد إليه ترشيح خليفة عباسي جديد بُعيد إقصاء الخليفة " الراشد " ، فأشار باختيار " محمد بن المستظهر بالله " ، فوافق السلطان " مسعود السلجوقي " ومَن حوله من كبار الرجال في البلاط العباسي على ذلك ، وبُويع له بالخلافة ، ولُقّب بـ " المقتفي لأمر الله "(١) ، وكان ذلك سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م .

اختار الخليفةُ " المقتفي " في مستهلّ عهده " عليَّ بن طراد الزينبي " وزيرًا له ، واستمرّ " الزينبي " في وزارته قرابة أربعة أعوام ، وذلك حتّى سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م ، ثمّ ساءت العلاقة بين الرجلين ، وحدثتْ بينهما فجوة كبيرة ، فخاف الوزير من الخليفة ، وذهب إلى دار السلطان " مسعود السلجوقي " في بغداد

(١) ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ص٣٠٨ .

مستجيرًا ، ودخلها واحتمى بها أيّامًا عدّة[1] .

ويذكر " ابن الأثير "[2] أن سبب تدهور العلاقة بين الخليفة " المقتفي " والوزير " الزينبي " يعود إلى ما كان يقوم به الوزير من اعتراض على الخليفة في كلّ ما يأمر به ، ممّا جعله يضيق ذرعًا بذلك . ويبدو أن الوزير " الزينبي " ظلّ يشعر بفضله على " المقتفي " لكونه أشار باختياره خليفة للدولة العباسية ، فأباح لنفسه أن يتدخّل في قراراته حتّى بلغ الأمر حدّ اعتراضه على ما كان يأمر به .

ومهما يكن من أمر ، فقد أرسل الخليفة " المقتفي " رسولاً إلى الوزير " الزينبي " يطلب إليه العودة إلى منصبه ، ولكنّ الوزير امتنع من الرجوع ، وظلّ مقيمًا في دار السلطان " مسعود السلجوقي " ، فبعث الخليفة إلى السلطان يستشيره في أمره ، فأذن في عزله عن الوزارة ، فعزله الخليفة[3] ، ثمّ طلب السلطان " مسعود " إلى " المقتفي " أن يأذن له ـ بدَوره ـ في العودة إلى داره ، فأذن له[4] .

ووفقًا لما تذكره بعض الروايات فقد تدهورت أحوال الوزير " علي بن طراد الزينبي " بعد عزله ، واضمحلّ شأنه إلى حدٍّ بعيد ، وعاش السنوات الأخيرة من حياته في ضائقة شديدة وحالٍ يُرثى لها ، حتّى إنّه مرض ذات يوم فاشتهى نوعًا من الطعام لم يكن في بيته فلم يَقْدر على ثمنه ! ، وكان قد أنفق جُلّ ماله لمّا كان مُستجيرًا بدار السلطان " مسعود السلجوقي " ، وحينما مرض مرضه الأخير الذي

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ، ص٤٣ ، ٧٦ ، ابن الطقطقي : الفخري ، ص٣١٠ ، النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٣ ، ص٢٨٣ ، ٢٨٥ .

(٢) الكامل ، جـ١١ ، ص٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ١١ ، ص٧٦ ، النويري : المصدر السابق ، جـ٢٣ ، ص٢٨٥ .

(٤) ابن الطقطقي : المصدر السابق ، ص٣١٠ .

توفي فيه بعث إليه الخليفة " المقتفي " يعده بإصلاح أحواله ، فالْتمس منه ـ فقط ـ أن يُحسن إلى أبنائه وأهل بيته من بعده ، فلمّا توفي حرص " المقتفي " على رعايتهم ، وأجرى لهم ما يحتاجونه من الرزق والعطاء[(١)] .

ومن أعلام الزينبيّين الذين كان لهم أثر في الحياة السياسية في الدولة العباسية " أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد بن علي الزينبي " ، المتوفّى سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م ، فقد ذكرت بعض الروايات أنه خدم الخليفة " الراشد بالله "[(٢)] ، ولكنّ هذه الروايات لم تكشف عن طبيعة الدَّور الذي أُنيط به في تلك الفترة . ويُفهم من سيْر الأحداث أنّ العلاقة بينه وبين الخليفة " الراشد " لم تكن ودّية دائمًا ، فحينما أُقصيَ هذا الأخير عن الخلافة سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م ، وسار من بغداد إلى الموصل ، كان " أبو القاسم الزينبي " حينها هو الآخر في مدينة الموصل ، فطلب إليه " عماد الدين زنكي بن آقسنقر "[(٣)] ـ حاكم الموصل ـ أن يُبْطل عزله وأن يقول بصحّة خلافته ، ولكنه امتنع من ذلك ، فسجنه " عماد الدين زنكي " ، وتعرّض في سجنه لبعض التعذيب ، ثمّ أخلى سبيله بعد مدّة يسيرة ، فعاد إلى بغداد[(٤)] .

وحينما ترك ابن عمّه الوزير " علي بن طراد الزينبي " منصبه ، بسبب تدهور

---

(١) المصدر نفسه ، ص٣١٠ ـ ٣١١ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٨ ، ص٦٨ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٢٠٨ .

(٣) هو " عماد الدين زنكي بن آقسنقر بن عبد الله " ، من أعلام النصف الأول من القرن السادس الهجري ، حَكَم " الموصل " منذ سنة ٥٢١هـ ، واتّسع نفوذه فيما جاورها من البلاد ، وشمل بعض المناطق من بلاد الشام ، وكان شجاعًا مَهيبًا ، توفي في سنة ٥٤١هـ . انظر أخباره وترجمته في : (ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص٣٢ وما بعدها ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٣٢٧ ـ ٣٢٩) .

(٤) الذهبي : المصدر السابق ، جـ٢٠ ، ص٢٠٧ .

العلاقة بينه وبين الخليفة " المقتفي لأمر الله " سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م ، عيّنه " المقتفي " وزيرًا له بالإنابة ، بَيْد أنه لم ينل حَظْوة تُذكر عنده ، إذْ ما لبث أن أعرض عنه(١) ، ولم يستمرّ في منصبه إلاّ فترة يسيرة ، حيث ولّى الخليفة في ديوانه وزيرًا جديداً .

لم يكن أثر " الزينبيين " في الحياة السياسية في الدولة العباسية مقتصرًا على المشاهير منهم فحسْب ، بل إنّ بعض المغمورين منهم عملوا في البلاط العباسي أيضًا ، وخدموا بعض الخلفاء ، ومنهم " أحمد بن هبة الله بن محمد بن علي الزينبي " ، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والثلث الأوّل من القرن السادس ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه أُوفد من قِبَل الخليفة إلى مدينة البصرة في أخريات أيّامه ، وذلك لأداء بعض الأعمال التي كلّفه بها ، وقد توفي في أثناء وجوده بالبصرة سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م(٢) .

ولم تُفصح الروايات التاريخية عن طبيعة الأعمال التي أوفده الخليفة من أجلها ، بل اكتفتْ بالقول إنّه كان بالبصرة " في شغلٍ للخليفة "(٣) ، كما لم تكشف النقاب عن شخصية الخليفة الذي أرسله ، وحيث إنّ " أحمد بن هبة الله الزينبي " توفّي في أثناء إيفاده سنة ٥٣٣هـ ، فهذا يعني أنّ الذي بعثه هو الخليفة العباسي " المقتفي لأمر الله " ، الذي تولّى الخلافة بين عامَي (٥٣٠ ـ ٥٥٥هـ/ ١١٣٥ ـ ١١٦٠م) .

وممّن كان له أثرٌ في الحياة السياسية من الزينبيّين الذين لم يحظوا بشهرة واسعة

---

(١) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ١٨ ، ص٦٨ ، الذهبي : المصدر السابق ، جـ٢٠ ، ص٢٠٨ .

(٢) السيوطي : رفع الباس ، ص٢٨٨ .

(٣) السيوطي : رفع الباس ، ص٢٨٨ .

" أبو المظفّر محمد بن طلحة بن علي بن محمد الزينبي " ، المتوفّى سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م ، فقد عَمِل حاجبًا[١] في ديوان الخلافة العباسية[٢] . غير أنّ المصادر التاريخية لم تُحدّد الفترة التي عُيّن فيها ، ولا في عهد مَن مِن الخلفاء العباسيين كان ذلك ، ومن المرجّح أنّه تولّى الحجابة في أيام الخليفة " الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله " الذي حكم فيما بين عامَي (٥٧٥ ــ ٦٢٢هـ/ ١١٨٠ ـ ١٢٢٥م) .

كما وُلّي أخوه " أبو القاسم قُثم بن طلحة الزينبي " حجابة " باب النوبي "[٣] ، في شهر ذي القعدة سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م ، في عهد الخليفة " الناصر لدين الله " ، ولكنّه عُزل عنها بعد أقلّ من عام ، وذلك في رمضان سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٥م ، وكان سبب عزله أنّ فتنةً حدثت في بغداد بين أهل " باب الأَزَج "[٤] و " المأمونية "[٥] فسار ليُصلح ذات بينهم ويُسكّن الفتنة ، ولكنّه أخفق في ذلك ، ولم يتعامل مع الموقف بطريقة حكيمة ، بل وقف في صفّ أحد

---

(١) " الحاجب " : اسم فاعل من " الحجْب " ، وهو المنع من الدخول ، وهو اسم وظيفة يُطلق على مَن يقف بباب الخليفة أو السلطان ، يُبلغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الإذن منه . (حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص٢٥١) .

(٢) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، جـ٢ ، ص٥٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٢٦ .

(٣) " باب النوبي " : موضع ببغداد ، أشار إليه " ياقوت " ـ عند تعريفه ببناء واسع يُسمّى " دار الريحانيين " ، مشرف على سوق الريحان في بغداد ـ حيث ذكر أنّ آخره ينتهي إلى الباب المعروف بـ" دركاه خاتون " قرب " باب النوبي " . (معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٢٠) . ولم أقف في المصادر على تحديد دقيق لهذا الموضع .

(٤) " باب الأَزَج " : محلّة كبيرة في شرقي بغداد . (ياقوت : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٦٨) .

(٥) " المأمونية " : محلّة كبيرة ببغداد ، بين نهر " المعلّى " و " باب الأَزَج " ، سُمّيت بذلك نسبة للخليفة " المأمون " . (ياقوت : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٤٤) .

الطرفين وهاجم الطرف الآخر ، فعِيب عليه ذلك وعُزل عن الحجابة[1] .

كان للزينبيّين أثر آخر في البلاط العباسي ، تَمثَّلَ في تولّي عدد منهم نقابة العباسيين في فترات مختلفة ـ والتي يُطلق عليها بعض المؤرخين أيضًا مصطلح " نقابة الهاشميين " ـ ومن أبرزهم " أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن الزينبي " ، وقد تولّى النقابة وهو لّما يزل شابًّا ، حيث كان في العشرين من عمره ، ثمّ تولاّها من بعده ابنه " أبو تمّام محمد بن محمد بن علي الزينبي " ، ثمّ ابنه الآخر " أبو طالب الحسين بن محمد الزينبي " ، وقد تولّى النقابة بضعة أشهر فقط ، وذلك في مستهلّ سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م ، ثمّ طلب إعفاءه منها ، فتولاّها بعده أخوه " طراد الزينبي " ، ثمّ " علي بن طراد " ، وذلك قبل تولّيه الوزارة ، في عهد الخليفة " المسترشد بالله " ، فلمّا عُيّن وزيرًا قلّد النقابة أخاه " محمد بن طراد "[2] .

وممّن تولّى نقابة العباسيين من الزينبيّين أيضًا : " أبو أحمد طلحة بن علي بن محمد الزينبي " ، وذلك في سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م ، في أيّام الخليفة " المقتفي لأمر الله " ، واستمر في النقابة في عهد " المقتفي " وفي السنوات الأولى من عهد الخليفة " المستنجد بالله "[3] ، الذي تولّى الخلافة سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .. وابنه " أبو المظفّر محمد بن طلحة الزينبي " ـ الذي عمل حاجبًا في البلاط العباسي ـ[4] .

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٥ ، ص٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٥٤ ، جـ٢٠ ، ص١٥٠ ، السيوطي : رفع الباس ، ص٣٢٠ .

(٣) ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٦ ، ص٢٨٠ .

(٤) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، جـ٢ ، ص٥٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٢٦ .

وابنه الآخر " أبو القاسم قُثم بن طلحة الزينبي " ، وقد تولاّها مرّتين ، أولاهما في عهد الخليفة " المستضيء بأمر الله " سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م ، ثمّ عُزل في ذي الحجّة سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م ، والثانية في شهر صفر سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م ، في أيّام الخليفة " الناصر لدين الله " ، وعُزل في السابع عشر من ذي الحجة سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م(١) .

وبالرغم من أنّ " نقابة العباسيين " لم تكن منْصبًا مؤثّرًا بشكل مباشر في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، وإنّما كانت منصبًا شَرَفيًّا أو فخريًّا إلى حدٍّ كبير ، إلاّ أنّ الذين تولّوها من الزينبيين في العصر العباسي كانوا يحظون باحترام كبير سواءً بين أفراد البيت العباسي أو بين معاصريهم من عامّة الناس ، ومن ثمّ كان لذلك أثره في بعض جوانب الحياة السياسية في الدولة العباسية .

أثر " الزينبيّين " في الحياة العلمية في الدولة العباسية :

أَسْهمَ الكثير من الزينبيّين في إثراء الحياة العلمية في الدولة العباسية ، ونَبَغ العديد منهم في ميادين العلوم المختلفة ، وبخاصّة في الفترة الممتدّة من أوائل القرن الخامس الهجري وحتّى أوائل القرن السابع ، وهي الفترة التي عاش فيها معظم أعلام الأسرة الزينبية .

ومن مشاهير " الزينبيّين " الذين كان لهم أثر في الحياة العلمية " طراد بن محمد ابن علي الزينبي " ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه كان حريصًا على طلب العلم منذ نشأته ، وأنه تتلمذ على العديد من علماء عصره ، وصار بعد فترة من الزمن ممّن يُشار إليهم بالبنان ، وروى عنه الكثير من طلاّب العلوم في زمنه(٢) ،

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٥ ، ص٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٨ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٦ ، ص٢٤١ ، القرشي : الجواهر المضيّة ، جـ٢ ، ص٢٨١ ـ ٢٨٢ .

كان منهم ابناه " محمد " والوزير " علي "[1] . واشتهر بمجالسه العلمية ، التي كانت محلّ ثناء عدد من المؤرخين ، فقد ذكر " سبط ابن الجوزي "[2] أنّ مجالسه تلك كان يحضرها المحدّثون والفقهاء والأشراف وقاضي القضاة ، وذكر " الذهبي "[3] أنّ مجالسه كان يشهدها الكثير من أهل العلم ، ولم يكن ببغداد حينذاك ما يُماثلها . وأكّد " السيوطي "[4] ذلك أيضًا فأشار إلى أنّ مجلس إملائه كان يحضره كافّة أرباب العلم من الطوائف المختلفة .

ولم يقتصر النشاط العلمي لطراد الزينبي على حاضرة الخلافة العباسية " بغداد " حيث كان يُقيم ، بل شمل بعض المدن الأخرى التي زارها في فترات مختلفة من حياته ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه حدّث بمدينة " أصْبهان "[5] ، في بعض رحلاته[6] ، كما كانت له في سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م مجالس علمية في كلٍّ من مكة والمدينة[7] . ولعلّ نشاطه العلمي في عدد من البلدان قد أسهمَ في اتّساع شهرته ، ومعرفة الناس بمنزلته وفضله ، ولذا وفد إليه الكثير من طلاّب العلم من مختلف الأقطار[8] .

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص١٩١ ، القرشي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٨٢ .
(٢) مرآة الزمان ، جـ١ ، ص٣١٦ .
(٣) سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٨ .
(٤) رفع الباس ، ص٣٠٠ .
(٥) " أصْبهان " : مدينة مشهورة ، تقع في الإقليم المعروف باسْم " بلاد الجبل " في منطقة المشرق . (ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٢٠٦) .
(٦) الذهبي : المصدر السابق ، جـ١٩ ، ص٣٨ .
(٧) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص٤٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ١ ، ص٣١٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٨ ـ ٣٩ .
(٨) سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٦ ، السيوطي : رفع الباس ، ص٣٠٠ .

وفضلاً عمّا اشتهر به " طراد الزينبي " من نبوغ علمي ، وما كان له من نشاط ملموس في ميادين الحياة العلمية ، فقد كان يحظى أيضًا بالتوثيق والتقدير من جانب العلماء ، وهي سِمة مهمّة ترفع من قدر العالم ، وتُعطي مزيدًا من الأهمّية لأقواله ومرويّاته ، وممّن شهد له بهذا التميّز الإمام " الذهبي "(1) الذي ذكر أنه كان " ثقةً ثبتًا " ، كما ذكر العلاّمة " السيوطي "(2) أنّه كان " ثقةً فاضلاً " .

وممّا يدلّ أيضًا على مكانته العلمية وثقة العلماء به وبرواياته ، أنّ اسمه وَرَد في العديد من أسانيد بعض العلماء ، فقد ذُكر " طراد الزينبي " ـ مثلاً ـ في مواضع عدّة من أسانيد العلاّمة " الذهبي " في كتابه " سيَر أعلام النبلاء " ، ليس في بيانه لبعض المسائل التاريخية ، وإنّما في أثناء ذِكْره للأحاديث النبوية(3) .

لم يكن " طراد الزينبي " هو الأوحد بين أخوته المشهور بطلب العلم والنبوغ فيه ، بل كان لبعضهم أيضًا باعٌ في عدد من العلوم والمعارف ، ومنهم " أبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي " .. نشأ " أبو طالب " نشأة علمية ، وتتلمذ على عدد من العلماء في العراق والحجاز ، ومالبث أن أضحى متبحّرًا في عدد من العلوم ، ولذا أشاد به وبعلمه العديد من العلماء ، فوصفه بعضهم بـ " الإمام العالم " ، كما وُصف بأنه " فقيه بني العباس "(4) ، وشَهِدَ له بعض علماء عصره بأنّه أكثر الهاشميّين في أيّامه علمًا وأجلّهم قَدْرًا(5) .

---

(1) سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٩ .

(2) رفع الباس ، ص٣٠٠ .

(3) انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ١ ، ص١٢٥ ، جـ٢ ، ص٦٣٠ ـ ٦٣١ ، جـ٤ ، ص٧٣ ، ٥٧١ ، جـ٨ ، ص٤٠٠ ، جـ٩ ، ص٣٨ ، جـ١٠ ، ٥٠٨ ، جـ٢٠ ، ص٢٠٤ .

(4) المصدر نفسه ، جـ١٩ ، ص٣٥٤ .

(5) المصدر نفسه ، جـ١٩ ، ص٣٥٥ .

ولّما عَلا صيته واتّسعت شهرته ، طَفِق طلاّب العلم يفيدون منه ويروون عنه ، وقصَدَه الناس وحدّث عنه كثيرون ، كان من بينهم ابن أخيه الوزير " علي ابن طراد الزينبي "(١) . وممّا يدلّ على كثرة مَن كانوا يتتلمذون عليه ويروون عنه ما أشار إليه " السمعاني "(٢) من أنّه سمع من عدد من علماء الشام والعراق وخراسان ممّن رووا عنه . وقد تَبحَّرَ في المذهب الحنفي وصار كبير فقهاء هذا المذهب في عصره ، ولا سيّما في بلاد العراق ، حيث وصفه " الذهبي "(٣) بـ " رئيس الحنفية " ، كما وصفه " السيوطي "(٤) أيضًا بـ " رئيس الطائفة الحنفية في زمانه " ، وذكر أنه كان " بارعًا في المذهب " .

ولم يقتصر أثر " أبي طالب الزينبي " في الحياة العلمية في الدولة العباسية على هذه الجوانب فحسْب ، بل إنّه عَمِل أيضًا في ميدان التدريس ، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية(٥) أنّه درّس مدّة طويلة في مدرسة " شرف المُلْك أبي سعد المستوفي "(٦) ، وهي مدرسة من مدارس " بغداد " بناها " شرف المُلْك " عند " باب الطاق "(٧) ، ووفقًا لما يُشير إليه " ابن الجوزي "(٨) فقد كان " أبو طالب الزينبي "

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٥٣ .

(٢) الأنساب ، جـ٣ ، ص١٩١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٥٣ .

(٤) رفع الباس ، ص٢٩٥ .

(٥) الذهبي : المصدر السابق ، جـ١٩ ، ص٣٥٤ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٣ ، ص٢٧ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص٢٩٥ .

(٦) هو " شرف المُلْك أبو سعد محمد بن منصور المستوفي الخوارزمي " ، كان - كما وصفه بعض المؤرخين - رجلاً جليل القدْر ، صدرًا معظّمًا ، عمِل في ديوان السلطان " ملكشاه السلجوقي " ، واهتمّ ببناء المدارس . توفّي سنة ٤٩٤هـ . انظر ترجمته في : (الذهبي : المصدر السابق ، جـ١٩ ، ص١٨٨ ـ ١٨٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٦ ، ص١٧٩) .

(٧) " باب الطاق " : محلّة كبيرة ببغداد في الجانب الشرقي منها . (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣٠٨) .

(٨) المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٦٦ .

قيّمًا على هذه المدرسة أيضًا ، ولم يكن ـ فقط ـ مُدرّسًا فيها .

وكان الوزير " علي بن طراد " أحد الحريصين من أبناء البيت الزينبي على طلب العلم والنبوغ فيه ، فعلى الرغم من انشغاله بشؤون الوزارة في بعض سنيّ حياته ، إلاّ أنّ ذلك لم يصرفه عن الاهتمام ببعض العلوم والعناية بتحصيلها ، ووفقًا لما تذكره بعض الروايات فقد تتلمذ " علي بن طراد " على العديد من علماء عصره ، كان منهم والده " طراد الزينبي " وعمّه " أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي " وعمّه الآخر " أبو طالب الزينبي " ، وأجاز له بعض العلماء ، وروى الكثير ، كما حدّث عنه ثلّة من العلماء البارزين(١) .

وكان ابن عمّه " أبو القاسم علي بن الحسين الزينبي " هو الآخر من المهتمّين بتحصيل العلوم . تتلمذ على عدد من العلماء ، ومنهم والده وعمّه " طراد الزينبي " ، وروى عنه العديد من طلاب العلم . ويبدو أنه نبغ في بعض العلوم ، يدلّ على ذلك أنه وُلّي قضاء العراق سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م(٢) . ووفقًا لما تضمّنته بعض الروايات فإنّ " أبا القاسم الزينبي " لم يُولّ القضاء فقط ، وإنّما عُيّن في منصب " قاضي القضاة " في الدولة العباسية ، وذلك في أيّام الخليفة " المسترشد بالله "(٣) .

ولأبي القاسم الزينبي مصنّفات في بعض العلوم ، ولا سيّما الفقه والحديث ، منها كتاب " الجامع الكبير " ، وكتاب " التجريد " ـ في الفقه ـ وكتاب

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص١٤٩ ، ١٥٠ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٢١ ، ص١٠٥ .

(٢) الذهبي : المصدر السابق ، جـ٢٠ ، ص٢٠٧ .

(٣) ابن أيبك الصفدي : المصدر السابق ، جـ٢١ ، ص٣٨ ، السيوطي : رفع الباس ، ص٣١١ .

" الإيضاح " ، وهو شرح لكتابه " التجريد " في ثلاثة مجلدات[1] .

ولم يكن اهتمام " الزينبيّين " بالجوانب العلمية مقتصرًا على كبارهم والبارزين منهم فحسْب ، بل إنّه شمل العديد منهم ممّن كانوا أقلّ شهرة أيضًا ، فقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أنّ " أبا نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي " ، المتوفّى سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م ، كان ذا عناية ببعض العلوم ، طلب العلم على أربابه ، وروى عنه كثيرون ، ومن بينهم ابنا أخيه " علي بن طراد الزينبي " وأخوه " محمد " ، ورحل إليه العديد من طلاب العلم ، وكان معروفًا بتضلّعه باللغة العربية[2] . ويُشير " السمعاني "[3] إلى أنه سمع من عدد من العلماء الذين رووا عنه في عدد من البلدان ، ومنها " مكّة " و " بغداد " و " أصبهان " وغيرها .

وكان " أحمد بن هبة الله بن محمد بن علي الزينبي " ، المتوفّى سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م ، من أهل العلم أيضًا ، فقد ذكرت بعض الروايات أنه روى عن عمّه " أبي نصر الزينبي " ، كما روى عنه بعض مشاهير علماء القرن السادس الهجري كأبي سعد السمعاني وابن عساكر[4] . كما كان " القاسم بن علي بن الحسين الزينبي " ، المتوفى سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م ، ذا باع في العلم ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه كان فقيهًا حنفيًّا ، له أدب وشعر[5] . وكان " أبو العباس محمد بن علي بن طراد الزينبي " ، المتوفى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م ، " مقبلاً على العلم ،

---

(١) الزركلي : الأعلام ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م ، جـ٤ ، ص٢٧٩ .

(٢) الذهبي : المصدر السابق ، جـ١٨ ، ص٤٤٤ .

(٣) الأنساب ، جـ٣ ، ص١٩١ .

(٤) السيوطي : رفع الباس ، ص٢٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٣١٦ .

قرأ الفرائض والأدب "[1] . كما كان " أبو القاسم قُثم بن طلحة بن علي الزينبي " ، المتوفى سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م ، من العارفين ببعض العلوم ، الحريصين على طلبها ، وبخاصّة ما يتعلّق منها بالأنساب والأخبار والأشعار[2] .

* * *

(١) المصدر نفسه ، ص٣٢٥ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٥ ، ص٧ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٢٤ ، ص١٥٠ .

الخاتمة :

وبعد : فقد كشفت هذه الدراسة عن عدد من النتائج ، أهمّها ما يلي :

ـ تَبيّنَ لنا أنّ فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين هي الفترة التاريخية الرئيسة التي اشتهر فيها الزينبيّون في العصر العبّاسي ، حيث سطع في أثنائها نجم عدد منهم ، ومن أبرزهم : " طراد بن محمد الزينبي " ، المتوفى سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م ، وأخوه " الحسين بن محمد الزينبي " ، المتوفى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م ، والوزير " علي بن طراد الزينبي " ، المتوفى سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م ، وابن عمّه " علي بن الحسين الزينبي " ، المتوفّى سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م .

ـ اتّضح لنا من خلال هذه الدراسة أنّ عددًا من " الزينبيين " كان لهم أثر في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، وبخاصة في أيّام الخلفاء " القائم بأمر الله " ، و " المقتدي بأمر الله " ، و " المسترشد بالله " و " المقتفي لأمر الله " .

ـ حَظِيَ العديد من " الزينبيين " بثقة الخلفاء العباسيين يدلّ على ذلك أنهم كانوا يعهدون إليهم ببعض المهامّ الجليلة ، إضافة إلى توليتهم بعض المناصب المهمّة في الدولة العباسية . ولم يتحدّث المؤرّخون إلاّ عن حالات يسيرة ذُكر فيها أنّ قِلّة قليلة من أبناء البيت الزينبي حدثت بينهم وبين مَن كان معاصرًا لهم من خلفاء بني العباس فجوة أو خلاف .

ـ تَبَيّنَ لنا في هذا البحث أنّ " علي بن طراد الزينبي " كان أبرز أعلام " الزينبيين " وأوسعهم شهرةً وأكثرهم أثرًا في الحياة السياسية في الدولة العباسية ، فقد تولى الوزارة في عهد الخليفة " المسترشد بالله " ، كما كان له الدَّور الأكبر في اختيار " المقتفي لأمر الله " خليفة للدولة العباسية سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م ، هذا فضلاً عن تولّيه الوزارة في أيّام هذا الخليفة بضع سنوات .

ـ كان لبعض أعلام الزينبيين أثر في الحياة العلمية في الدولة العباسية ، ولا سيّما في القرن الخامس الهجري ، حيث اشتهر في ذلك القرن الأخوان " طراد " و " الحسين " ابنا محمد الزينبي ، واللذان كانا على جانب من النبوغ في ميادين الحياة العلمية .

ـ تولّى عدد من أبناء الأسرة الزينبية " نقابة العباسيين " في حاضرة الخلافة العباسية لعهود طويلة ، حتّى إنّها أضحت حكْرًا عليهم في بعض الفترات دون غيرهم ، ومع أنّ " النقابة " لم تكن ذات أثر مباشر على الحياة السياسية في الدولة العباسية في تلك العصور ، إلاّ أنّ تولّي " الزينبيّين " لها يدل على المنزلة العالية التي كانوا يتبوّؤنها عند الخلفاء العباسيين من ناحية ، كما يعني من ناحية أخرى تميّز البيت الزينبي في الأسرة العباسية كلّها .

ـ اتّضح لنا من خلال هذا البحث أنّ " الزينبيّين " عاشوا جُلّ أيّامهم في حاضرة الخلافة العباسية " بغداد " ، وذلك لارتباطهم بالخلفاء العباسيين من ناحية ، ولأنّ حاضرة الخلافة كانت منزل آبائهم وأجدادهم منذ بنائها في فجر الدولة العباسية ، زمن الخليفة " أبي جعفر المنصور " .

ـ لم يَعُدْ للزينبيّين ذِكْر عند المؤرّخين بعد نهاية الدولة العباسية ، في أواسط القرن السابع الهجري ، بل إنّ المصادر التاريخية لا تذكر شيئًا عنهم حتى قبل سقوط الخلافة العباسية بنحو عقدين من الزمن ، إذْ إنّ آخر مَن اشتهر من أبناء البيت الزينبي هو " أبو طالب عبد الله بن المظفّر بن علي بن طراد الزينبي " ، المتوفّى سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م .. ولعلّ ذلك يُعزى إلى ارتباط شهرتهم بالخلفاء العباسيين إلى حدّ بعيد ، وعلاقتهم الوطيدة معهم ، إضافة إلى عدم ظهور شخصيّات مهمّة من " الزينبيين " في العهود التالية .

المصادروالمراجع :

أولاً : المصادر :

١- ابن الأثير : عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) :

- **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية** ، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

- **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

- **اللباب في تهذيب الأنساب** ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

٢- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) :

- **جُمَل من أنساب الأشراف** ، تحقيق : د . سهيل زكّار ، و د . رياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

٣- البنداري : الفتح بن علي (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) :

- **تاريخ دولة آل سلجوق** ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٤- ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠م) :

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

٥- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) .

- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٦- ابن حزم الأندلسي : علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) :

- **جمهرة أنساب العرب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٧- الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) :

- **معجم الأدباء** ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

- **معجم البلدان** ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٨- ابن خلّكان : شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) :

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق : د . إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٩- ابن خيّاط : أبو عمرو خليفة بن خيّاط بن أبي هبيرة الليثي العُصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) :

- **تاريخ خليفة بن خيّاط** ، تحقيق : د . أكرم ضياء العمري ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

١٠- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) :

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق : د . عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

- **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- **العبر في خبر مَن غبر** ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

١١- الزَّبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزّاق (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) :

- **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

١٢- سبط ابن الجوزي : شمس الدين يوسف بن قزأوغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) :

- **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** (٤٨١ - ٥١٧هـ/ ١٠٨٨ - ١١٢٣م) ، تحقيق : د . مسفر بن سالم بن عريج الغامدي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

١٣- السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م) :

- **الأنساب** ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١٤- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) :
ـ **رفع الباس عن بني العبّاس** ، تحقيق : يحيى محمود بن جُنيد ، مجلّة " عالم المخطوطات والنوادر " ، المجلّد الثامن ، العدد الثاني ، رجب ـ ذو الحجة ١٤٢٤هـ/ سبتمبر ٢٠٠٣م- فبراير ٢٠٠٤م .
١٥- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) :
ـ **الوافي بالوفيات** ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .
١٦- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) :
ـ **تاريخ الأمم والملوك** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت .
١٧- ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طاطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) :
ـ **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية** ، دار صادر ، بيروت .
١٨- ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (ت في حدود ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) :
ـ **الإنباء في تاريخ الخلفاء** ، تحقيق : د . قاسم السامرّائي ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
١٩- القرشي : عبد القادر بن محمد (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) :
ـ **الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية** ، تحقيق : د . عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجَر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
٢٠- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :
ـ **البداية والنهاية** ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .
٢١- ابن كنّان : محمد بن عيسى بن محمود (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) :
ـ **حدائق الياسمين في ذِكْر قوانين الخلفاء والسلاطين** ، تحقيق : عباس صبّاغ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .
٢٢- الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) :
ـ **ولاة مصر** ، تحقيق : د . حسين نصّار ، دار صادر ، بيروت .

٢٣- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) :

ـ **الأحكام السلطانية** ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

٢٤- المنذري : عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) :

ـ **التكملة لوفيات النقلة** ، تحقيق : د . بشّار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .

٢٥- ابن النظّام اليزدي : محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) :

ـ **العراضة في الحكاية السلجوقية** ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : د . عبد النعيم محمد حسنين ، و د . حسين أمين ، بغداد ، ١٩٧٩م .

٢٦- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) :

ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق : د . أحمد كمال زكي ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

ثانيًا : المراجع :

١- إقبال : عباس :

ـ **تاريخ إيران بعد الإسلام** ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : د . محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٢- الباشا : حسن (دكتور) :

ـ **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٣- حسنين : عبد النعيم محمد (دكتور) :

ـ **سلاجقة إيران والعراق** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

٤- الخطيب : مصطفى عبد الكريم :

ـ **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٥- الديوه جي : سعيد :

- **تاريخ الموصل** ، بغداد ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٦- الزركلي : خير الدين :

- **الأعلام** ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .

* * *